الإمام علي (عليه السلام)
يؤسس لأول دولة مدنية

المبادئ والحريات والحقوق الانسانية

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 1874 لسنة 2018م

مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC: BP37.35 .N56 2018

المؤلف الشخصي : النعمة، رسول عبد الزهرة. مؤلف.

العنوان : الامام علي (عليه السلام) يؤسس لأول دولة مدنية : المبادئ والحريات والحقوق الإنسانية /

بيان المسؤولية : تأليف الباحث رسول عبد الزهرة النعمة.

بيانات الطبع : الطبعة الأولى.

بيانات النشر : العراق، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018 / 1439 للهجرة.

الوصف المادي : 63 صفحة ؛ 15x21 سم.

سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ 425).

سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة، 139 وحدة الدراسات السياسية، سلسلة دراسات في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشتر (ره) ؛ 44).

تبصرة ببليوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات 61-62).

موضوع شخصي : علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة – 40 للهجرة – نظريته في الحكم.

موضوع شخصي : علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة – 40 للهجرة – ساسته وحكومته.

مصطلح موضوعي : نظام الحكم في الاسلام.

مصطلح موضوعي : النظام الاداري في الاسلام.

مصطلح موضوعي : الاسلام وحقوق الانسان.

اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (٤٤)
وحدة الدراسات السياسية

الإمام علي (عليه السلام)

يؤسس لأول دولة مدنية

المبادئ والحريات والحقوق الإنسانية

تأليف
الباحث رسول عبد الزهرة النعمة

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439هـ - 2018م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: 07728243600 - 07815016633
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@ Inahj.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وإنّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لَحديث الثقلين «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحيّة النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله) إلا أنموذجٌ واحدٌ من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية التي اكتنزت في متونها كثيراً من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله)

مـادة خصبـة للعلـوم الإنسـانية التـي هـي أشرف العلـوم ومـدار بنـاء الإنسـان وإصـلاح متعلقاتـه الحياتيـة وذلـك ضمـن سلسـلة بحثيـة علميـة موسـومة بـ(سلسـلة دراسـات في عهـد الإمـام عـلي (عليه السلام) لمالـك الأشـتر (رحمه الله)، التـي تصـدر بـإذن الله تباعـاً، حرصـاً منهـا عـلى إثـراء المكتبـة الإسـلامية والمكتبـة الإنسـانية بتلـك الدراسـات العلميـة والتـي تهـدف إلى بيـان أثـر هـذه النصـوص في بنـاء الإنسـان والمجتمـع والدولـة متلازمـة مـع هـدف القـرآن الكريـم في إقامـة نظـام الحيـاة الآمنـة والمفعمـة بالخـير والعطـاء والعيـش بحريـة وكرامـة.

وكان البحـث الموسـوم بـ(**الإمـام عـلي عليـه السـلام يؤسـس لأول دولـة مدنيـة المبـادئ والحريـات والحقـوق الإنسـانية**) أحـد البحـوث التـي تناقـش بـوادر أول دولـة مدنيـة تأسسـت عـلى هـدي الديـن الإسـلامي الحـق الـذي ينتـصر للفقـير والمظلـوم ويحـارب الظـالم

المتغطرس فرسم الإطار العام لحقوق الإنسان بما يحفظ له هيبته وضمان حياته.

فجزى الله الباحث خير الجزاء، فقد بذل جهده وعلى الله أجره، والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مشكلة البحث:

يعالج موضوعة وضع الإسلام في أطر كلاسيكيه من قبل الجماعات المتطرفة وتسليط الضوء على الأنموذج الناصع الذي يعطي انطباع حقيقي عن جوهر الرسالات السماوية وعدم إغفالها حقوق الانسان وفي مشروع أول دوله مدنيه تبناها الإمام علي(عليه السلام).

فرضية البحث:

تقديم دراسة عقلائيه بما يتلاءم مع تطلعات

الانسان المعاصر واثبات بالحجة والمصدر الموثوق أن أمير المؤمنين (عليه السلام) سبق الجميع في تطبيق حقوق الإنسان حيث مثل الحاكم العادل والمؤسس للصبغة الإنسانية التي مثلت خلافة السماء بحق.

مخطط البحث:

يقع البحث بفصلين: الأول في مشروع الدولة المدنية، المبحث الأول تمهيد / المبحث الثاني أسس الدولة المدنية/ المبحث الثالث ملامح المدنية الجديدة/ المبحث الرابع مشروع السجون الإصلاحية/ المبحث الخامس الحكم الديمقراطي الإسلامي.

الفصل الثاني: الحقوق والحريات في عهد الإمام علي عليه السلام.

المبحث الاول مدخل للحقوق والحريات

وهـي الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسـية

المبحـث الثـاني: التعدديـة وقبـول الآخـر/ المبحـث الثالـث في حريـة التعبـير عـن الـرأي.

المبحـث الرابـع: في حـق المعتقـد/ المبحـث الخامس العدالـة الاجتماعيـة/ المبحـث السـادس في حقـوق المـرأة/ المبحـث السـابع حقـوق أخـرى / المبحـث الثامـن في الخاتمـة.

تقدمة

الحمـد لله رب العالمـين وأتـم الصـلاة والتسـليم عـلى نبيـه محمـد وآلـه الطيبـين الطاهريـن، وبعـد:

فمـن رحـم البـداوة والصحـراء والوحشـية والجهـل والتعصـب ولـدت الرسـالات والإنسـانية متمـرده عـلى تلـك البيئـة القاسـية والقلـوب الغليظـة لترسـم للإنسـان حقوقـه بـكل معاني المحبـة والسـلام

والقوة في أخذ حقوق الفقراء وقد تمثلت بشخص علي ابن أبي طالب (عليه السلام) رجل العدالة والمبادئ السامية لعكس صورة طبق الأصل عن جوهر الإسلام الذي أرسلته السماء وتغذاه من خلق محمد الصادق الأمين(صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الرسل السماوية ومتلازمته معه لم تك الفطرة السليمة والأرحام المطهرة هي فقط من أوجدت هذه الشخصية المعطاء وإنما امتناعه عن كل ما كان يقوم به ذلك المجتمع المتخلف والمتوارث بالجهل والعادات السيئة والقديمة، فنشئ وهو يمقت كل ما يراه من ظلم وتفرقة وتشضي وقد ازدادت حكمته وتنامت إنسانيته وهو يرى البؤس والشقاء، فطهر لسانه وقوى ساعده بوجه الظلم والقبلية فمن هنا بدأت قصة الإصلاح تتنامى قبل تولي علي(عليه السلام) عرش الحكم فقد احترم الرأي الآخر ولم يشق

جموع المسلمين حتى في موعد الشروع بواجبة المرصود والمقدس إلى ان سنحت له الفرصة ليطرز أرقى معاني الجمال من احترام الرعية، والعطف على الأيتام، والدفاع عن المرأة والإنسان بكل اختلافاته، فلا يوجد في التاريخ من يسجل عليه فساداً، أو ظلماً، نزولا إلى ولاته وعمّاله، وكانت كلماته نهج مصنف للحقوق وتبيان لكل المفاهيم والنظم القيمة والطروحات البناءة، فلم يشبع بطنا، ولا يجلس مكتوف اليدين في قصر منيف، وإنما يستمر بمتابعاته الرعية وكان مساره في تحقيق أسس حقوق الانسان ومشروع أول دوله مدنيه استمدت مقتنياتها من دوله الإسلام الأولى للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) لتصل للخلافة الحقيقية التي صرحت بها السماء حيث عمل على استحداث المؤسسة بحسب العصر الجديد فكان بناء السجون الإصلاحية،

وتبنـي ثقافـة الحـوار واحـترام المعتقـدات غـير الا سلاميه هـي السياسـة السـائدة في دولتـه، وقـد أخـذ مفهـوم حقـوق الإنسـان تطبقيـه في فلسـفة الإمـام علي(عليـه السـلام) بطريقتـين؛الأولى: جمعـت في نهجـه التوعـوي أي بالحكـم، والإرشـادات، والكلمـة المعـبرة، والمنحـى الثـاني: كان بالتطبيـق العمـلي، وهـو التعامـل مـع الرعيـة والعـمال بشـكل ينسـجم مـع مـا يتطابـق مـع مفاهيـم حقـوق الإنسـان المعـاصرة.

الفصل الاول

أسس الدولة المدنية

تمهيد

لا يخفى علينا أن فجر الرسالة الإسلامية الذي جاء بمشروع سماوي خلَّص الإنسان من الاستعباد والفوضى والقبلية، وساوى بين كل الأصناف الحر، والعبد، والرجل، والمرأة، معبرا بذلك بدستور سماوي اسمه القران الكريم، كان رسالة كبيرة، ومنعطفاً واعداً في تاريخ البشرية، من الصعب توقف مسارها أو تكلؤها إذ إنَّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستن الأحاديث والمواقف الآنية التي يعالج بها كل مستحدث بما يتلاءم مع ما يريده الله جل شأنه للإنسانية، إي على وفق المعايير الدينية

المنصوصة حيث لم تكن هناك دساتير تنظم حياة البشرية فكان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المنظم لذلك، وهذا معروف إلا إننا ما أردنا أن نوضحه في هذه العجالة أن مسيرة الإمام علي عليه السلام مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)وشهادته لهذه البادئة الرسالي وما تلا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلافة أصحابه جعلت الإمام علي(عليه السلام) إمام موقف تاريخي مهم وهو كيفية صناعة إطار مدني يترجم مع وضع الإنسان المدني المعاصر، فقد أصبح لزاما عليه استخدام قوالب جديدة في الدولة والحكم تتماشى مع العقلية الجديدة مستفيدا من أخطاء من سبقوه ورد فعل الانسان المختلف إي بمعنى تبنى مفاهيم إنسانيه جيدة تسهم في قبول الآخر وتلاءم الجميع وترجع الإسلام إلى مساره الحقيقي الذي عرفه من

متلازمته مع الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتشربه بإيمانه الصادق الذي نمت هذه الشخصية العظيمة منه إلى ان قال حبر ألأمه ابن عباس لو أن الشجر أقلام والبحر مداد والإنس والجن كتاب وحسّاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين[1]، من هنا كان من الواجب الوقوف عند هذه الشخصية والتعرف على منجزاتها سيما وإن الرسول الأكرم نفسه قال فيه يوم برز لعمرو بن عبد بن ود العامري: ((**خَرجَ الإيمانُ كُلّه إلى الشرْكِ كُلِّه**))[2] هذا هو من يحمل الصورة الناصعة والصادقة للإسلام الذي قام الكثيرون بتشويهه.

(١) تذكرة الخواص، ص٨ وكذلك أورده علي دخيل في نهج البلاغة، ج١، ص٦.

(٢) المصدر السابق نفسه.

أسس الدولة المدنية

من أثر تربيتة الإمام علي (عليه السلام) على يدي الرسالة السامية التي تبناها خاتم الرسل محمد (صلى الله عليه وآله) كان جل ما يطمح إليه عليّ (عليه السلام) إقامة دولة إسلامية عادلة راشدة حدد معالم أسسها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ الأيام الأولى لاستلامه الخلافة وكان أول أسسها وصيته لرجالاته الذين كلفهم بقيادة أمور المسلمين في الأمصار كوصيته (لمالك الأشتر) عندما ولاه مصر هذه الوصية التي اعتبرت منعطف تاريخي لدى الكثير من السياسيين ووثيقة لمشروع تأسيس دولة مدنية معاصرة تحترم الجميع وأن رؤيته لمفهوم الدولة بصيغتها العقلانية المطروحة في (وصية الأشتر) تجلت كرؤية دولية عقلانية منذ اليوم الأول لوفاة الرسول الكريم محمد

(صلى الله عليه وآله) و في أثناء حادثة السقيفة التي ترك فيها صحابة الرسول (عليه الصلاة والسلام) على فراش الموت مع عليَّ (عليه السلام) وأهله وراحوا يتفاوضون ويتبايعون على الخلافة بغض النظر هنا عن النيات الحسنة أو السيئة لمن تواجد في السقيفة آنذاك وراح يفاوض في أمور السلطة مثلما تجلت أيضا عبر حكم من سبق الإمام (عليه السلام) حيث كان علي (عليه السلام) المرجع الحكيم الذي كثيرا ما لجأ إليه الحكام؛ لاستشارته عند الضرورات من أمور سياستهم لشؤون الدولة، ثم سارت باعتراضاته على بعض الأحكام وتصحيحاته الدائمة للدولة وهو يمثل دور الناشط المدني والسياسي الذي يمتاز بالموقف والاهتمام حينها كان يمثل (عليه السلام) المنظمة المدنية التي ترجع الدولة له في العديد من الاستشارات والمواقف وصاحب

الدراية المتكاملة، وقد اكتشف نقاط الخلل واضعا في نظره مدنية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) الأساس الصلب التي كان من معالمها وثيقة المدينة، واللبنه الإدارية الأولى في المنطقة.

ملامح المدنية الجديدة

إن أول ملامح الدولة المدنية المعاصرة التي أسسها الإمام علي (عليه السلام) هي ترك كل ما يشوب حياة الانسان المدني المعاصر، ومن ذلك إيقاف الفتوحات والتوسعة في الدولة الإسلامية لوجهة نظر أو وجود مآخذ ترافق تلك الفتوحات قد تحدث في ظل حكومته يمكن أن تقاس بمقاسات أخرى تشبه العادات الجاهلية التي كانت تشوب حياة الإنسان القديم ومنه العربي خصوصا كالسلب، والنهب، والغنائم والسبايا، ووضعها ضمن خراج الدولة أو ما

تسمى بالواردات في العصر الحديث، أي إنه جمّد هذا المشروع ليبدأ بإعادة صقل وإصلاح ما موجود وكان كفيل بنجاح فكرة التكافل الاجتماعي التي تزينت بها معاجم الكتب والسير وهي أنه وجد سائل فتعجب في حكومته فقيل هذا غير مسلم وأمر بصرف راتب له إذن كان يتعامل مع الإنسان بشكله لا نوعه بالإضافة إلى موضوعنا وهو انه تعجب بوجود متسول أي إنه وفِق في مشروعه الاقتصادي حتى ذكر أصحاب السير أنه استطاع أن يسيطر على توازن الأسعار في السوق، وخلق مساواة في المتاجر بطريقة اقتصاديه اعتمدها من دون اللجوء للقوة والتشريع ألا وهي الإشراف المباشر من قبل الدولة على التجارة، بل وما يهمنا هنا هو كلمته المشهورة وهي انثروا القمح على اسطح الجبال وهي تقودنا إلى جانبين مهمين الا وهما : وصول الدولة إلى مرحله من

الاكتفاء والاستقرار الاقتصادي، والنوعي بشكل ملحوظ، والجانب الأخر: هو اهتمامه قد تعدى الانسان وهذا من أهم المفاهيم والقيم المعاصرة، بل وتعداها بجدارة وليس باللوائح والمآثر الكلامية وإنما بالتطبيق الميداني برعاية حقوق الحيوان كذلك.

مشروع السجون الإصلاحية

من المؤكد أن فكرة السجون هي بحد ذاتها تعتبر موقع تعذيب وانتقام أو مصادرة رأي أو تغييب من اتهم أو ثبت عليه جرم أو جنحة موجهه الا ان الإمام علي (عليه السلام) اعتمدها كإصلاحيات للمجرمين والمذنبين بحق المظالم أي هم الأشخاص الخطرون والمجرمون بحق الناس باختلاف أنواعهم، أي هم ليسوا سجناء رأي أو أعداء للسلطة، ولا يوجد أي مصدر تاريخي

يشوب ذلك بالعكس، وسنتناول هذا الموضوع في المبحث الثاني بالأحداث التاريخية أن الإمام علي (عليه السلام) قد وردت عشرات القصص على من يكيل عليه التهم والسب أمام الناس، وفي السوق وفي المسجد، وهو يخطب من دون أن يأمر باعتقاله معبرا عن فكره الديمقراطي المعاصر ومحترما لكل رأي مختلف وإن كان هذا الشخص عليه شائبة كان علي (عليه السلام) ملتزما بجميع الضمانات الإنسانية للسجناء. فكان يخرج فئات من أهل السجن ليشهدوا الجمعة بشروط معينة ثم يعيدهم[(١)].

وفي الموضوع ذاته أنه قام بتقنين مادة في دستوره تنهى عن الأخذ بالأقوال التي تنتزع تحت التعذيب كان نصها: (من اقر عن تجريد

(١) المستدرك ص٤٣١.

أو حبس أو تخويف أو تهديد فلا حد عليه).[١]

حيث إن فكرة السجن بوصفها مؤسسة إصلاحية علاجية تأهيلية لم تتبلور في الفكر القانوني الإنساني المعاصر إلا بعد مخاضٍ طويل، غير أنها وجدت تطبيقاً لها في بدايات الدولة الإسلامية، ولاسيما في فكر الفقيه الكبير والمفكر العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) على نحوٍ سبق فيه الأفكار الحديثة بمئات السنين،وإنه ما كان يبقي أحدا في السجن من دون حق، فقد كان يعرض السجون كل يوم جمعة، فمن كان عليه حد أقامه عليه ومن لم يكن عليه حد خلّى سبيله[٢] وعلى ذلك سنتولى عرض فكرة السجن الإصلاحي في الفكر القانوني الإنساني أولاً، وفي الفكر الإسلامي الذي يمثله الإمام (عليه السلام)

(١) الوسائل: ج ١٦، ص١١١.
(٢) المستدرك: ج٨٨، ص٣٦.

ثانياً أما موضوع السجن بشكل عام قبل وبعد الإمام علي (عليه السلام) كان هدفه في العصور القديمة: هو الانتقام من الجاني وتعذيبه، أما هدف السجن في العصور الوسطى فالسجن في هذه الفترة يوافق أفكار الكنيسة حول العقوبة الذي تمثل بتطهير المجرم من الذنوب والخطايا من خلال الاقتصاص التطهيري، فعقوبة السجن لم تكن تستهدف سوى الانتقام والإرهاب بداعي تطهير المجرم؛ لأن هدف العقوبة كان آنذاك هو الردع فقط من دون الإصلاح، لذا نجد أن السجون كانت عبارة عن قلاع أو حصون قديمة يودع المجرمون فيها بسراديب مظلمة مكبلين بالسلاسل مع التعذيب وإجبارهم على القيام بأعمال السخرة[1] الا ان السجون في فلسفة علي (عليه السلام) ((أي دولة المدنية الإسلامية

(١) علم العقاب: محمود معروف عبد الله ص١٩.

الحقيقية)) كان لا يسجن الشخص إلا بعد معرفة الحق وإنزال الحدود، لأن الحبس بعد ذلك ظلم كما ذكرنا[1] والسجون هي إصلاحيات تنوب عن أحكام قديمة وتم توقيف الأحكام القديمة والتقليل منها وهي الرجم والتعزير والجلد وقطع اليد وما إلى ذلك، إلا إن الملاحظ ان التعامل مع المواقف يكون بحسب الحالة فإذا كان يمكن إصلاحها بالسجون كان اختيارها أولى وهذا ما يؤيد بطلان الفكرة التي تعتمدها بعض الجهات المتخلفة التي تلسق نفسها بالإسلام معتبرة أن هذه الوسائل العقابية هي الوحيدة التي لا تستحدث بحسب التطبيق القديم للمشرع الإسلامي وعلى ذلك يمكن القول: إن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من وضع قواعد الحد الأعلى وليس الأدنى لمعاملة

(١) المستدرك: ج١٧، ص٤٠٣.

المسجونين وتنظيم السجون بوصفها مؤسسة إصلاحية تأهيلية علاجية، ثم انتشرت بعد ذلك فكرة السجون في الدولة الإسلامية وخاصة في العهدين الأموي والعباسي غير أن الغاية منها قد ابتعدت عن الإصلاح والتأهيل والتهذيب لتتحول إلى التنكيل والانتقام من السجناء، ولم يطبق الفكر الإصلاحي للسجن بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا في عهد الخلفية عمر بن عبد العزيز، الذي أكد في كتبه إلى عماله ما جاء به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١].

هناك حقيقة واضحة لا غبار عليها وهي أن الإسلام يعد المنبع الرئيس لكل النظريات التي تهدف إلى حفظ حقوق الإنسان وحرياته؛

(١) الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية: حسن طالب، ص١٧٢.

وصيانـة كرامتـه بـما هـو إنسـان وان كان مجرمـاً، لذلـك اهتـم الفقـه الإسـلامي بالسـجن والسـجين، ومـن الملاحـظ أن لفظـة السـجن مؤسسـة بوصفهـا مؤسسـة عقابيـة وكعقوبـة قـد وردت في القـرآن الكريـم في سـورة يوسـف في ثمانيـة مواضـع، والسـجن كعقوبـة وإن عـرف في زمـان الرسـول الأكـرم محمـد بـن عبـد الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) غـير أنـه لم يكـن هنـاك مـكان يحبـس فيـه الشـخص المجـرم، فـكان الحبـس يتـم أمـا بسـاحة المسـجد النبـوي أو في الدهاليـز أو في البيـوت ومنهـا بيـت المضـرور، وجديـر بالذكـر أن السـجن لم يكـن سـوى عقوبـة مـن نـوع التعازيـر وليسـت مـن نـوع الحـدود أو القصـاص أو الديـات، وظـل عـدم وجـود مـكان معـين يحبـس فيـه الأشـخاص وهـذا مـا لا يخفـى عـلى الجميـع مـن موضـوع الأسرى مـن

الحروب وهاتيك الموضوعات[1] وكانت أصلا بداية فكرة السجون بحسب المؤرخين حينما تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة اهتم بالسجن أيَّما اهتمام فبني سجناً في الكوفة من قصب وسماه (نافعاً) فنقبه اللصوص وهربوا منه، ثم بني سجناً آخر من مدر وسماه (مخيساً) وتلاحظ النزعة الإصلاحية لهذين السجنين من اسميهما فالسجن الأول اسمه (نافع) والنفع ضد الضرر، أما الثاني فقد سماه (عليه السلام) مخيس والتخسيس يعني التليين والمرونة، هذا من حيث الاسم، أما من حيث المعاملة العقابية فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى وضع قواعد خاصة في معاملة المسجونين ترمي إلى الحفاظ على كرامة الإنسان بما هو إنسان أولاً وكونه مسلماً ثانياً. فنجد أن هناك عناية بالسجين من نواحي الجسد

(١) أحكام السجون بين الشريعة والقانون، احمد الوائلي ص٤٥.

والروح والفكر، فكان الإمام علي (عليه السلام) يتابع طعامهم وشرابهم وكان يصرف لهم كسوة صيفية وأخرى شتوية وفي حال مرض أحد السجناء فكان يعالج داخل المؤسسة العقابية وان لم يكن له خادم يقوم بخدمته قوَّم له واحداً، وان كان مرضه لا يرجى شفاؤه أو خطراً على حياته فينقل إلى بيته لعلاجه ومن ثم يصدر قراراً بإعفائه من مدة محكوميته، وكان يسمح للمسجونين بالخروج والمشي داخل المؤسسة العقابية، بل نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أقر للسجناء بحق الخروج لأداء صلاة الجمعة والعيدين، مع حق ذويهم وأهلهم في زيارتهم، ثم نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أقر تعليم السجناء القراءة والكتابة والأحكام الدينية والعقائدية والمواظبة على ممارستها، ثم أكد على ضرورة معاملة السجناء (النزلاء) بالحسنى من

قبل القائمين على إدارة المؤسسة العقابية وذلك كله يتم تحت إشرافه ورقابته المباشرين، بل كان يوصي عماله في الأمصار الأخرى بذلك كله، هذا الفكر الإصلاحي أصبح نقطة الانطلاق فيما بعد للفكر الجنائي الإسلامي (والإنساني) عموماً في الاهتمام بالسجن والسجين[١].

أسس الحكم الديمقراطي الإسلامي

من أهم المفاهيم المعاصرة هو مفهوم الديمقراطية ولسنا هنا بصدد التعريفات الا ان جل ما نود الإشارة له هو أن حكم الإمام علي (عليه السلام) كان يمثل هذا النوع من الحكم بنضرة المستشرقين والباحثين بشكل عام، وإن لم يشيروا لهذا المصطلح بصورة مباشرة إلا إنه لا

(١) السياسة الجزائية في فقه العقوبات الإسلامي المقارن د احمد ألحصري ص ٣٨٩ .

يوجد ذكر عكس ذلك وإنما احترام الحريات العامة هو السائد في نظر عل(عليه السلام) ومنها قوله (عليه السلام) ضمن كلام واضح وجميل ((**يا أيها الناس إن ادم لم يلد عبدا و لا امة، وان الناس كلهم أحرارا**))[1]. وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) (الناس كلهم أحرارا، إلا من أقر على نفسه بالعبودية) ومن هذا وغيره، ومن المبادئ التي أراد تحقيقها الإمام علي (عليه السلام) احترام الجميع وإرساء العدالة الإلهية وكفالته الشهيرة لأديان غير المسلمين و ما يتعلق مباشرة بموضوع الأقليات وهو مبدإ المساواة بين البشر وهو ما يعزز المفهوم الديمقراطي للحياة العامة والسياسية. فموضوع الأقليات في العصر الحديث يجد إطاراً مرجعياً في مبدإ

(١) غرر الحكم: ص٤٤٥، حكمة ١٠٣٧١ للقاضي ناصح الدين الامدي.

المساواة بالصيغة التي أشارت إليها حقوق الإنسان، واعتبرت لدى كثيرين مرجعاً عالمياً معاصراً لهذا المبدأ إلا انه يسهل القول بأن الإسلام سبق هذه الوثائق في تقرير جملة المبادئ التي تضمنتها حمايته لحق الإنسان في العيش الحر الكريم، وعلى رأس تلك المبادئ وأخصها مبدأ المساواة بين البشر. فالقرآن الكريم يشير إلى وحدة المنشأ للناس كافة عندما يخاطبهم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾[١] و الواقع العربي الذي عاشه العرب هو كأنموذج ساد الشرق الأوسط والعالم الثالث عامة، حيث إن الأنظمة المبنية على مفاهيم عضوية قد فشلت بشكل كبير في توفير الرفاهية عبر ادعائها الديمقراطية[٢]، ولأن المعايير المدنية مفتوحة على

(١) سورة الحجرات أيه: ١٣

(٢) المواطنة والهوية الوطنية لمعهد الأبحاث دار العارف

مصراعيها فقد يتبناها أي شخص أو مذهب فكري عكس الإسلام الذي يستمد جذوره من السماء وهذا التشخيص ينبغي ان لا يثير فينا الاستغراب كون ان الإعلان الأصلي لحقوق الإنسان وضع عام ١٩٤٨ يوم كان عدد الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة لا يتجاوز ستة وخمسين عضوا معظمهم من الدول الغربية، يضاف إلى ذلك أن اللجنة الخماسية التي وضعت الإعلان كان كل أعضائها من أصحاب النزعة الليبرالية.

للمطبوعات :١٠٨

الفصل الثاني

الحقوق والحريات في عهد الإمام علي

مدخل

إن جل ما يطمح له الإمام علي (عليه السلام) هو عالم مليء بالسلام، والتسامح، والحب والوئام، ويُحتَرَم الإنسان بذاته الطبيعية لا صفاته. فيما انه استخدم النظام الإسلامي بوصفه دستوراً الهياً متأصلاً لتوحيد الجهد البشري، في الوقت الذي كان يتيح المعلومة والمعرفة والخزين العلمي الذي حصل عليه من فجر الرسالة ومعرفته العامة لطبيعة ذلك النوع من البشر ومتغيراتهم، كان (عليه السلام) لا يُنَظِّرُ فقط وإنما كان يطبق هذه المضمونات بشكل عملي، وما أردنا الإشارة أليه في هذه العجاله أن مقتصر الحريات والمفاهيم المعاصرة

التي تناولناها هي فقط من يكثر اللغط عنها في العصر الحديث، وتمثل فيها الحريات فنحن لم نتطرق إلى كل مواد لائحة حقوق الإنسان التي تضمنت ثلاثين مادة فلا يهمنا أكثرها فهي حق الحياة، والزواج، والتنقل، وهي بديهية؛ وإنما الحريات التي تتصدر المحافل، والمنظمات، والسياسات، والمدافعين عن حقوق الانسان كالدفاع عن الطبقات الهشة والمهمشة، وهي طبقات الأطفال، والنساء، والتعددية وحقوق الأقليات والعدالة الاجتماعية، وقبول الأخر، وحرية التعبير، وما إلى ذلك ، التي يمكن التعبير عن أكثرها بالاجتماعية، والاقتصادية، وقد تناولنا في هذا المبحث فقط ذات الأهمية كما ذكرنا وكيف أن الإمام علي (عليه السلام) قد تناولها في المجالين والنظري العملي.

التعددية وقبول الآخر

مع أن الإمام (عليه السلام) كان يرى أنه الأحق بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن الرسالة العظيمة التي صنعت منها السماء أعظم دوله في تاريخ البشرية، لا يمكن ان تنتهي بوفاة النبي الأكرم من دون أن تستمر برجل يراه مناسبا لإكمال المسيرة، وعلى الرغم من كل ذلك فقد احترم رأي طيف من المجتمع ولم يشق صف المسلمين متقبلا للرأي الآخر وإن أكثر ما اشتهر عن الإمام علي (عليه السلام) هو احترامه للجميع حتى انه أكرم عائشة خير إكرام بالرغم من أنها ألّبت عليه جموع المسلمين، ولم يقم بأي عمل ضدها، بل هيَّأَ لها حين انتهت الحرب عشرين خادمة يقمن بواجبها، وكل الذي بدر منه عتاب في قول، إذ قال لها: (ما أنصفكِ

الذين أخرجوك إذ صانوا حلائلهم وأبرزوك).[١]

وإن أهم مثال لقبوله للتعددية هو عهده لمالك الأشتر الذي أشار فيه: ((**إن الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نضير لك في الخلق**))[٢] ما يعني انه يقبل أي إنسان حتى وان لم يك مسلماً ويوجه باحترامه وتقبله وما دل على ذلك كذلك هو سماعه لصوت الناقوس في الكنائس والأديرة وهم في دولته وقد أشكل عليه البعض الا انه قال لهم هل تعلمون ماذا يعني صوت هذا الناقوس أو يدل قالوا ماذا قال انه يقول لا اله الا الله إلى تكملة الحديث[٣]

(١) الجمل والنصرة في حرب البصرة: للمفيد، ص٢٠٦.
(٢) تحف العقول: ص٩٠.
(٣) بحار الأنوار: ج٢، ص٣٢٢.

وإن أهم نص يبين أن الإمام علي (عليه السلام) رجل كما يسمى باليوم بالمثقف والمعاصر ينفتح على الجميع وينظر للأمور بطريقة مدنية جديدة ويتعامل مع الناس على ما هم عليه وليس ما يريده هو، وصيته لمالك الأشتر في عهده له لأهالي مصر، قوله **((ثم أعلم يا مالك إني وجهتك إلى بلاد قد جرى عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك...))**[١] في إشارة واضحة لاحترامه لحرية الناس وعدم التأكيد على تطبيق سياسة الإمام علي (عليه السلام) أو الدين الإسلامي وتشريعاته وما يوضح هذا المعنى أكثر بالرغم من أن بينه وبين الخوارج دما الا ان ذلك لم يمنعه في أن يمدهم بالعطاء من بيت مال

(١) تحف العقول: ص٩٠ للحسن بن علي الحراني.

المسلمين وهذا مؤشر أخر على مدى تمسك علي (عليه السلام) بالحق والإنصاف والعدل. وانه لم يمنعهم من دخول المساجد وعاملهم معاملة المفتونين المشتبهين بالرغم من أنهم تطاولوا على حكمه وحكومته، بل راح أكثر من ذلك يلتمس لهم الأعذار وقد أكد أن من لديه دعوى مع شخص اللجوء للقضاء ونلاحظ ذلك في قوله **((ان الحدود لا تستقيم الا على المحاجة والمقاضاة وإحضار البينة))**[١].

حرية التعبير عن الرأي:

من الموضوعات الحديثة والمدنية ذات الأهمية هو حرية التعبير عن الرأي والتظاهر السلمي كجز من حريات الإنسان المعاصر وفي مجمل أبحاثنا عن هذا الموضوع في المنطقة العربية

(١) الدينوري الأخبار الطوال ص١٣٠

وجدنا أن الإمام علي (عليه السلام) كان هو بحد ذاته يؤكد على أن يكون الإنسان شجاعاً في تعزيز حريته في كل المجالات حيث يقول **((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا))**(١)، حيث جسد الإمام علي (عليه السلام) احترامه لحرية التعبير عن الرأي مصداقاً لخلافه السماء فوصفه إنساناً، ناهيك عن كونه حاكماً يحمل فكراً أزلياً، فمنذ أن رفض إبليس السجود لكائن خلقه الله من الطين بدأت حرية احترام الرأي من الله جل شأنه، وناقشه بصورة عادلة، ولم ينكل به بل تركة وهو القادر على كل شيء، ومن هنا أصبح لزاما على أصحاب الرسالات الالتزام بهذا النهج فعلي (عليه السلام) لم يستخدم السيف لكل ناقد ولكل متمرد على الحكم، و لم يستخدم السلاح متذرعاً بالحفاظ على أمن الدولة أو أن الدولة تمر

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي ص١٤٠

بحالة استثنائية أو حالة طوارئ، ليقوم بتصفية كل المعارضين للحكم ولو معارضي الرأي لكنه يأبى لنفسه ذلك، ولأنه رجل ينطلق من منطلقات التشريع الإلهي معتمدا على القاعدة الشرعية (أن لا استخدام للسيف إلا باستخدامه من الطرف الآخر) أما إذا كانت المعارضة في ضمن الأطر السلمية والنقد، فلا يجوز التعاطي معها بالقمع والتجاوز على الحريات. لذلك عندما كان يخطب على منبر الكوفة انبرى له رجل ممن يكفرونه وقال قاصدا الإمام (لله أبوه كافرا ما أفقهه) فانبرت له جماعة تريد قتله فمنعهم الإمام (عليه السلام) ناهيا إياهم ((**اتركوه فهو إما سب بسب أو عفو عن ذنب**))[1]. وكأنه بذلك أراد أن يؤسس لحرية التعبير ويقنن حرية النقد حتى لرأس السلطة فهو ليس فوق النقد واكبر

(١) نهج البلاغة،جمع الشريف الرضي ص١٩٧

من أن ينتقد، وهناك العديد من الروايات التي تؤكد على تبني الإمام علي (عليه السلام) هذا المفهوم التحرري، إما حق التظاهر فكان واضح وجلي في رده على عمر أول صعوده المنبر متسائلا إذا ما اخطأ فأجاب الإمام (عليه السلام) ((**إذن لقومناك بسيوفنا**))[1].

حرية المعتقد

كان (عليه السلام) يشار له بحريه المعتقد وبشواهد عده واقرب دليل هو الرواية التي تذكر سماع الأمام علي (عليه السلام) صوت أجراس الكنائس والأديرة في الحيرة بالقرب من الكوفه[2] إما وثيقة الإمام (عليه السلام) لمالك فقد تضمنت عددا من الحقوق والحريات

(١)أهل البيت تنوع ادوار ووحده هدف لباقر الصدر ص٨٩.
(٢) بحار الأنوار ج٢ ص ٣٢٢.

العامـة، أهمهـا حريـة العقيـدة وذلـك نلحظـه في موقفـه المتسـامح مـع أهـل الذمـة بالرغـم مـن أنهـم أقليـات، ولا يمثلـون عنصر ضغـط على الدولـة إلا إن الإمـام (عليـه السـلام) كان يراعـي حقوقهـم، بـل جـاء في الروايـات التاريخيـة(انـه لمـا أقـدم بـسر بـن أرطـأة بالهجـوم على الأنبـار وقـام بسـلب المـرأة المسـلمة والأخـرى المعاهـدة تـألم الإمـام (عليـه السـلام) لكلاهمـا مـن دون أن يفـرق بينهـما فقـال:

((وَلَقَـدْ بَلَغَنِـي أَنَّ الرَّجُـلَ مِنْهُـمْ كَانَ يَدْخُـلُ عَـلَى المَـرْأَةِ المُسْـلِمَةِ، وَالأُخْـرَى المُعَاهَـدَةِ، فَيَنْتَـزِعُ حِجْلَهَـا وَقُلْبَهَـا وَقَلاَئِدَهَـا، وَرِعَاثَهَـا، مـا تَمْتَنِـعُ مِنْـهُ إِلاَّ بِالاسْـتِرْجَاعِ وَالِاسْـتِرْحَامِ، ثُـمَّ انْصَرَفُـوا وَافِرِيـنَ، مَـا نَـالَ رَجُـلاً مِنْهُـمْ كَلْـمٌ، وَلاَ أُرِيـقَ لَهُـمْ دَمٌ، فَلَـوْ أَنَّ امْـرَأً مُسْـلِماً مَـاتَ مِـن بَعْـدِ هَـذا أَسَـفاً مَـا كَانَ بِـهِ مَلُومـاً، بَـلْ كَانَ بِـهِ عِنْـدِي جَدِيـراً..))[1].

(١) نهج البلاغة ص ١٣.

فالإمام (عليه السلام) كان يتألم للمسلمة وما جرى عليها كما تألم للمعاهدة من دون تفريق. هذا مما يدلل لنا مدى شمولية الإنسانية بالإسلام في فلسفه الإمام علي (عليه السلام) وإن المسلم محترم في الدولة الإسلامية بوصفه مواطناً كذلك المواطنون الآخرون من أصحاب الديانات الأخرى ان لهم حقوقا وواجبات كما للمسلمين حقوق وواجبات. وكان موقفه مستمدا من موقف القران مع أهل الذمة بقول الله في كتابه ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1]، فيما بدأ ذلك واضحا في حق الملكية الخاصة: ((**ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد**))[2]، مشيرا في المساواة بين بني البشر: ((**ياأيها الناس ان ادم لم**

(١) سورة البقرة٢٦٥.

(٢) نهج البلاغة ص ١٤٩.

يلد عبدا ولا امة ان الناس كلهم أحرار))[١]. وكما ذكرنا في مورد سابق، وتجد ذلك واضحا وجليا في موقفه مع أحد الأنصار عندما اعترض عليه بمساواته في العطاء بينه وبين عبده الذي اعتقه منذ فترة وجيزة؛ إذ أعطى الإمام (عليه السلام) كلاهما ثلاثة دنانير فساوى بين العبد ومولاه فاحتج المولى عليه قائلا: (يا أمير المؤمنين هذا غلام أعتقته بالأمس تجعلني وإياه سواء فقال: **إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلا)**[٢].

وأخيرا فقد ندد الإمام علي (عليه السلام) بمعاوية عندما كان يأمر بالإغارة على أطراف العراق من دون أن يفرق بين المسلمين أو النصارى، فقال الإمام (عليه السلام): **((ويحك**

(١) غرر الحكم: ٤٤٧.
(٢) الكليني في الروضة ج ٨ ص٦٩

ما ذنب أهل الذمة في قتل عثمان))[١].

العدالة الاجتماعية

من أكثر ما يطمح له الإنسان المعاصر هو الحكم الديمقراطي، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين كل بني البشر، ولعل أجمل قصه في هذا السياق هي في خلافة الإمام علي (عليه السلام) إذ كان المسيحي مواطناً له ما للمسلم من حقوق، بل الحاكم يضع نفسه مقابل أي مسيحي عادي أويشهد موقفه (عليه السلام) عندما ضاع درعه وهو قاصد حرب صفين أوعندما وجده عند رجل مسيحي وطلب الإمام (عليه السلام) القضاء في الموضوع ذهب مع خصمه إلى القاضي (شريح)، فوقف الخليفة الحاكم مع الرجل المسيحي أمام القاضي من دون أي تميز،قال

(١) نهج السعادة ج٥ ص٣٠٨

(عليه السلام) المدعي أنها درعي ولم أبع ولم أهب، فسأل القاضي الرجل المسيحي ما تقول فيما يقوله (عليه السلام) فقال ما الدرع الا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب فالتفت شريح القاضي إلى أمير المؤمنين قائلاً هل من بينة يا علي تشهد أن الدرع لك فضحك علي (عليه السلام) وقال أصاب شريح ليس لي بينة فقضى شريح بالدرع للمسيحي فأخذها ومشى وأمير المؤمنين ينظر إليه إلا إن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فاشهد ان هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين يدنيني إلى قاض يقضي عليه، ثم قال: الدرع درعك والله وقد كنت كاذباً فيما ادعيت. وفي مسار العدالة نفسه يروى أنه تحاكم الإمام عليٌّ (عليه السلام) أمام عمر، وكان الخصم يهوديًّا، وكان عمر ينادي عليه قائلاً: يا أبا الحسن، وهو يتحاكم أمامه،

فظهر الغضب على وجه عليّ (عليه السلام) فظن عمر أن عليًّا (عليه السلام) يتبرم من وقوفه مع اليهودي على قدم المساواة، فقال عمر لعلي (عليه السلام): أكرهت أن يكون خصمك يهوديًّا؟ فقال علي (عليه السلام): إنما غضبت لأنك لم تسوِّ بيني وبين خصمي اليهودي إذ ناديته باسمه، وناديتني بكنيتي.

حقوق المرأة

كان أكثر من حفظ حق المرأة وعزز وجودها الإنساني هو الإمام علي (عليه السلام)، فكان يتعامل مع الذكر كما الأنثى ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء من قومه، ومشيه مع المرأة لقضاء شأن من شؤونها، حتى و إن جلب له الأمر مشقة.

فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

رجع الإمام علي (عليه السلام) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني، و أخافني، و تعدى علي. فقال الإمام (عليه السلام): يا أمة الله! اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله، فقالت: يشتد غضبه علي. فطأطأ الإمام (عليه السلام) رأسه ثم رفعه و هو يقول: لا و الله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع! أين منزلك؟ وحيث وقف الإمام (عليه السلام) على باب المنزل قال: (السلام عليكم) فخرج شاب مفتول الجسم، فقال له الإمام (عليه السلام): (يا عبد الله، أتق الله فإنك قد أخفتها و أخرجتها فقال الفتى: و ما أنت و ذاك؟ وأخذ يتوعد بتعذيبها فقال أمير المؤمنين: (آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر و تنكر المعروف؟) فأقبل الناس من الطرق يلقون التحية على الإمام (عليه السلام)

و يقولـون: سـلام عليكـم يـا أمـير المؤمنين! فسـقط في يديه،فقال:يـا أمـير المؤمنـين! أقلنـي عثرتي،فـو الله لأكـون لهـا أرضـا تطـأني. فالتفـت الإمـام إلى المـرأة قائلا)يـا أمـة الله! ادخـلي منزلـك و لا تلجئـي زوجـك إلى مثل هـذا و شـبهه. ومـا يؤكـد احترامـه لمكانـة المـرأة والفخـر بهـا قوله(عليـه السـلام) ((**وَلَمْ يَجْمَـعْ بَيْـتٌ وَاحِـدٌ يَوْمَئِـذ فِي الإِسْـلاَمِ غَـيْرَ رَسُـولِ اللهِ(صـلى الله عليـه وآلـه) وَخَدِيجَـةَ وَأَنَـا ثَالِثُهُـمَا**))[١] ومَـا يؤكـد تذكـره للمـرأة كذلـك.

ويفخـر الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عـلى عـدوه معاويـة في مقارنـة يـراد منهـا توضيـح حقـه ومـا يسـعى إليـه مـن خـير للمجتمـع إذ يقـول (عليـه السـلام): ((**وَمِنَّـا خَـيْرُ نِسَـاءِ الْعَالَمِينِ وَمِنْكُـمْ حَمَّالَـةُ الْحَطَـبِ**))[٢] وفي تقبلـه لشـهادة المـرأة واحترامـه

(١) نهج البلاغة ص١٠٣.

(٢) نهج البلاغة ص١٣٤.

لمكانتها روي أن شكت امرأة تسمى سوده بنت عمارة الهمدانية إلى الإمام علي ابن أبي طالب(عليه السلام) أحد ولاته الكبار وهو والي صدقاته على الأهواز وكانت تحت سلطته منطقة واسعة تقول سوده: ((لقد جئت إلى علي ابن أبي طالب(عليه السلام) في رجل ولاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رآني أنفتل من صلاته ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى الإمام(عليه السلام) ثم قال: اللهم أنت الشاهد عليَّ وعليهم، وإني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج قطعة جلد كتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ**

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١] فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام، ثم دفع الرقعة إليَ، فو الله ما ختمها بطين ولا خزمها فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً. في هذه الواقعة التاريخية كثير من الدروس البليغة في السياسة والحكم والإدارة والتعاطي مع أمور الناس حتى ولو كانت بسيطة أو صغيرة فالإمام علي(عليه السلام) كان ينظر من زاوية مختلفة وحساسة جداً حيث أن التهاون في الأمور الصغيرة التي قد تبدوا عادية في نظر البعض هو ما يؤدي إلى الفساد والظلم، وما إلى ذلك إما ما نسب إليه عن حديثه عن النساء ونعته لهن بناقصات العقول وما إلى ذلك فقد أسهب في هذا الموضوع كثيرا السيد محمد حسين فضل الله في كتاباه (دنيا المرأة) وكذلك كتابه (تأملات إسلامية حول المرأة) فبعض هذه

(١) سورة الاعراف: الآية ٨٥.

المعاني ظاهرية في حال تحققت الروايات فيها ولنا أن نختم هذا المجال بوصيته عند مماته قوله: ((**اتقوا الله في الضعيفين الأيتام والنساء**))[١].

أخريات

لعلنا في هذه العجالة مررنا على بعض الشواهد وباختصار؛ لان وفرت الأخبار والمآثر لشخصية الإمام علي (عليه السلام) لا تسعها المقام، فلا يفوتنا أن نذكر بعض المواد التي لا تخلو من الأهمية فيما يجدر الذكر هنا هو إنسانيته ورفقه بالحيوان وقد وجدنا كثيراً من المواقف والقصص انطلق الإمام علي (عليهالسلام)في تشريعه لحقوق الحيوان من قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى**

(١) أمالي الطوسي ص ٣٧٠.

رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(١) ان علي ابن أبي طالب أول من أسس لحماية الحيوان في التأريخ فينقل له مواقف متعددة تعكس البعد الإنساني والقيم الرفيعة له (عليه السلام) ويتمثل بالواجب الحقوقي لبني البشر وبقيه المخلوقات، فقد نقل لنا التأريخ أنه أمر ببناء مربدا للضوال من الحيوانات يقوم بإطعامهم. ويقيها قرص البرد وحر الصيف، ويطعمها ويعلفها من بيت المال فينفق عليها إلى أن يمر عليها زمن من يدعيها يقدم البينة وإلا فتستخدم إن أمكن الاستفادة منها وإلا تترك في مكانها.-كما كان يوصي المصدقين (جامعي الزكاة) أن لا يطلعوا بالحيوان بالضاحية، أو بالهجير، وكان يوصي كثيرا عماله بالرفق بالحيوان **((لا تفصلوا الناقة عن فصيلها))**، **((لا تنهكوا الأم بالحلب أفلا يبقى شيء لوليدها))** كما ويوصي

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

عماله كما جاء في وصيته لمالك الأشتر في دستوره العظيم ((**فإذا أتيتها فلا تدخل دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة أولا تفزعنها ولا تسوء صاحبها منها..**)) إما الرواية الشهيرة التي يقول فيها انشروا القمح على أسطح الجبال... في دلاله واضحة على رعاية الحيوان[1].

(١) من لا يحضرة الفقيه للصدوق ٣٤٩

الخاتمة

مع إننا أوجزنا كثيرا ولم نقتفي الكثير من الروايات التي تشعبت في كتب المذاهب عامه والمدنيين من مستشرقين ومهتمين في مجال حقوق الانسان، ولم نتطرق لكل الحقول الاجتماعية والاقتصادية بشكل كامل، وفقط إذ أخذنا الأكثر أهميه في الإعلام في الوقت الحاضر، ومن هذا المنطلق تجد أن تراثنا الإسلامي يسبق التشريعات الحديثة بمئات السنين في تقنين مبادئ حقوق الانسان، فلم يذكر التاريخ غير بعض المهتمين بحقوق الانسان وقد تغاضوا عن سفر الإمام علي الإسلامي بدءاً من وثيقة [مانحنا كارتا] الذي أصدره الملك الانجليزي جون [١٢١٥م] التي تعد أقدم وثيقة دستورية في التاريخ الانجليزي في حين أن الوثيقة الدستورية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر تعد من

أقدم الوثائق الحقوقية التي تحمل في جنباتها الكثير من الحنان الإنساني العميق الذي يحيط به الإمام (عليه السلام)دستوره في المجتمع، والتي سبقت (مانحنا كارتا) بقرون عدة، ترى فيها أبعاداً إنسانية كبيرة وعمقا في الرؤية ورشادا في الفكرة. فهل يوجد أعمق من هذا المعنى دلالة على الشمول الإنساني والإحاطة لكل بني البشر من هذه العبارة، التي سجلها الإمام (عليه السلام) في دستوره العلوي إذ قال: **((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْـمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَو نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))**[١].

وكتبت مجلة الحقوق العراقية في عددها الثاني سنة ١٩٤١م قائلة (لا مراء بأن عهد الإمام علي

(١) تم ذكر المصدر سابقا / تحف العقول ٩٠

عليه السلام إلى مالك الأشتر عامله على مصر من أنفس الوثائق التاريخية الزاخرة بمبادئ الحكم وأساليب الإدارة وأصول التشريع، وأخلاق المسئولين، وإذا كانت الحضارة اليونانية تفخر على عالم العصر الحاضر بشريعة سولون، والتاريخ الانجليزي يباهي حضارة اليوم بوثيقة (المانحنا كارتا)، والثورة الفرنسية تزهو بين تاريخ الثورات (بإعلان حقوق الانسان)، الذي لم يفتئ حتى زال بسرعة بعد أن تغير لفض مواطن إلى مسيو بعدة سنوات، وقبل حتى موت نابليون فحسب الحضارة العربية الزاهرة مجداً وسموا أنها قدمت للأجيال المتعاقبة منذ أربعة عشر قرناً هذا العهد الأميري الخالد على الدهر بأعدل المبادئ المقررة في فقه السياسة والتشريع). وفي نفس السياق يقول المفكر المسيحي جورج جرداق في تعليقه على الدستور العلوي لعلي بن أبي طالب

(عليه السلام) (فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأمم المتحدة إلا وتجد له مثيلا في دستور ابن أبي طالب ثم تجد في دستوره ما يعلو ويزيد) مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني بين الوثيقتين، وأن الأولى كانت نتاج عقول كثيرة من بني البشر والثانية كانت نتاج عبقري واحد هو علي بن أبي طالب(عليه السلام). ولعل المفارقة الأكبر هي ان وثيقة الأمم المتحدة كتبت وقليلا ما طبقت موادها في الواقع فما زال العالم والمجتمعات البشرية تلحظ الفارق الكبير بين موادها ونظريات ميكافيلي أو المنطق الذرائعي [البراغماتي] الذي يسوغ للدول انتهاك هذه الحقوق، في حين أن عليا جسدها على الواقع بعدالته والقوانين التي سنها في ذلك الوقت مع رعيته حتى بقت مقولته التي لم يقلها حاكم غيره تثير استغراب وتعجب الكثيرين

من ناقدي التاريخ أو مؤرخي تاريخ الأمم التي قال فيها:(لقد أصبحت الأمم تشكوا ظلم رعاتها وأصبحت أشكوا ظلم رعيتي، ولقد كنت بالأمس أميراً واليوم مأمورًا، وكنت ناهيا واليوم منهياً)[1]، وما أردنا بصدق الإشارة بهذه البحث المختصر تسليط الأضواء على سيرة الإمام علي (عليه السلام) الإصلاحية الحافلة بالمبادئ والحقوق في الوقت الذي يغض الطرف العالم غير المتدين عن هذا الرجل العظيم ويحفل بلائحة حقوق الإنسان التي لم تنتج الا بعد أن تيقظ العالم من حربين عالميتين انتهكت فيها الحقوق الحريات، وبعد أن أقرت عصبت الأمم المتحدة مجموعه من الاتفاقات الشكلية تم إقرار لائحة حقوق الانسان في ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨، ولا زالت هذه الحقوق التي اشتملت على ثلاثين

(١) نهج البلاغة ص١٨٦.

مادة نظرية لا يلتزم بها كل الدول التي وقعت عليها ومن يتحدثون بها كأنها أعجوبة العصر الا إن علي (عليه السلام) أسس لأول دولة مدنية معروفة المعالم ودستورها القران الكريم المنزل من السماء سابقا الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يقارب رابعة عشر قرن وقد رسخ طروحاته بصورة عملية وبصدق تام.

ختاماً : العذر لكثر الهفوات والاقتصار.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

١. نهج البلاغة للشريف الرضي شرح علي دخيل.

٢. تحف العقول عن آل الرسول أبو محمد الحسن الحراني

٣. ترجمه الإمام علي أبي القاسم ابن الحسن ابن عساكر

٤. حقوق الانسان عند الإمام علي د غسان السعد

٥. من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق محمد ابن علي القمي

٦. الأمالي للشيخ الطوسي

٧. غرر الحكم ودرر الكلم عبد الواحد بن محمد بن تميم

٨. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة محمد باقر

٩. أهل البيت تنوع أهداف ووحدة هدف محمد باقر الصدر

١٠. الجمل والنصرة في حرب البصرة

١١. بحار الأنوار ج٢ للعلامة المجلسي

١٢. الأخبار الطوال للدنيوري

١٣. السياسة الجزائية في فقه العقوبات الا سلاميه لأحمد الحصيري

١٤. المواطنة والهوية الوطنية لمعهد الأبحاث دار العارف للمطبوعات

١٥. علم العقاب د محمد معروف

١٦. الجريمة والعقوبة والمؤسسات الاصلاحية د حسن طالب

١٧. إحكام السجون بين الشريعة والقانون د احمد الوائلي

١٨. المستدرك على الصحيحين د يوسف المرعشي

١٩. وسائل الشيعة الحر العاملي

٢٠. دنيا المرأة محمد حسين فضل الله

٢١. علي ميزان الحق محمد حسين فضل الله.

المحتويات